عبقرية عمر للعقاد دراسة حجاجية...
الروابط (لكن – بل) أنموذجين

الباحث/ هيثم أكرم عبد العاطي

ملخص البحث:

يعد العقاد من الأدباء البارزين الذي وظفوا الروابط اللغوية في أسلوب كتابته؛ مما عزز نصه اللغوي بأسوب فريد ذا حس مقبول لدى القارئ، وفي هذا الصدد يذهب هذا البحث إلى ما آلت إليه كتابة العقاد من نتائج في نفس القارئ بعد استخدامه للروابط الحجاجية المتنوعة، وهذا ما سنلاحظه في تلك الدراسة المعنونة بـ (عبقرية عمر للعقاد دراسة حجاجية...الروابط (لكن – بل) أنموذجين

وكانت رؤية الباحث في استخدام الرابطين دون عن غيرهما من الروابط؛ كونهما يحملان ملامح حجاجية لها تأثيرات جمة لدى القارئ حول شخصية عمر رضي الله عنه.

Al-Akkad is one of the prominent writers who employed linguistic ties in his writing style. Which reinforced his linguistic text with a unique style that has a sense acceptable to the reader, and in this regard this research goes to the results of Al-Akkad's writing in the same reader after using the various argumentative links, and this is what we will notice in that study entitled (The Genius of Omar Al-Akkad, a Hajjaj study. Links (I am - but are) two models.(

The researcher's vision was to use the two links, not the other links; The fact that they bear pilgrimage features that have significant effects on the reader about the personality of Omar, may God be pleased with him.

تقديم:

تنقلت الدراسات اللغوية في أطوار عدة؛ مما أكسبها تنوعًا يناسب كل مرحلة من أطوارها، ومن تلك الدراسات البلاغية التي أولدت لنا نظرية الحجاج وإن كانت النظرية لها شكلها القائم بذاته واستقلاليتها ترجع للدراسات اللغوية الغربية.

إن الحجاج حوار غايته حصول الإقناع، وليس إكراها على الاقتناع، وهو إحلال لمبدأ الاختيار واستبعاد منطق الإجبار، إنه معقولية وحرية من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، وهذا ما سنلاحظه في عبقرية عمر للعقاد الذي يحاول جاهد إيصال رسالة محددة لدى القارئ من خلال نصه المدون.

أهداف البحث:

١- محاولة الكشف عن أهمية الظاهرة التداولية الحجاجية ، من أجل تحقيق مدى فعالية المنهج اللساني الحجاجي في دراسة الخطاب السردي.

٢- اتجاه الدرس اللغوي المعاصر إلى التحليل التداولي ومنه تلبية لمشروع اللسانيات التداولية وتخطي بنية الجملة والنص إلى النظر في سياق الكلام والتركيز على الحجاج التداولي الذي يركز على البنية اللغوية ذاتها وإبراز فعاليته في دراسة الخطابات الأدبية.

٣- محاولة الوقوف على الوسائل اللغوية والتداولية التي استعملها العقاد في كتابه "عبقرية عمر" ورصد شيوع هذه الوسائل بأنواعها المختلفة عن طريق الدراسة الإحصائية.

٤- إبراز الأبعاد الحجاجية لهذا النوع من النصوص، بما يتجاوز مجرد إقناع الطرف الآخر في الخطاب وحمله على الإذعان.

٥- الوصول إلى الروابط الحجاجية في مادة الدراسة والكشف عن الأبعاد الحجاجية في كتاب عبقرية عمر.

٦- التوصل إلى معرفة مدى قدرة النظريات الحديثة في التحليل اللساني ــ نظرية الحجاج ــ على التعامل مع الخطاب الأدبي.

منهج الدراسة:

تتطلب منّا طبيعة هذا الموضوع إتباع منهج يتلاءم وهذا النوع من الدراسات، لذلك رأينا أن نعتمد على المنهج الوصفي، للوقوف على آليات الحجاج في المدوّنة المختارة، وإبراز قيمتها التداولية وتأثيرها بما تحمله من أدوات حجاجية متنوعة..إضافة إلى المنهج

التحليلي الذي نعتمد عليه في القيام بتحليل المادة الأدبية من خلال اســتنطاق النــصوص على اختلاف أنواعها، وتعدد أشكالها التعبيرية، وما تتضمنه من سمات بلاغية وإشارات فنية.

المبحث الأول: مفهوم الحجاج

الحجاج في اللغة:

تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة حجاج" (ح، ج، ج) [١]، المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، ومنه الدليل على الرأي المرغوب إثباته وهذا ما نجده واردا في بعض المعاجم العربية، فمنها من أورد معنى الحجاج« غلبه بالحجة، أو حاجة محاجة، و عارضه مستنكرا فعله، وتحاجوا: تجادلوا، والحجة الدليل والبرهان» [٢] .

ويرجع أبو بكر الرازي مفهوم الحجاج إلى القصد، وغلبة الخصم بالحجة والبرهان؛ فيقول: «الحج في الأصل القصد والحجة البرهان، وحاجه فحجه من باب رد، أي غلبه بالحجة... ورجل محجاج بالكسر أي جدل ، والتحاج التخاصم المجحة بفتحتين: جاد الطريق[٣] ، وهذا التعريف بدوره يجعل من الحجاج والبرهان والجدل مصطلحات مترادفة لا فرق بينها.

بينما نجد أبا هلال العسكري يفرق بين "الحجة" و"الدلالة" و"البرهان" قائلا: «الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من الحجة وهي الطريق المستقيم، وهذا هو فعله المستدل وليس من الدلالة في شيء. وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها ، وإنما تنفصل الحجة من البرهان: لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد:حج يحج إذا استقام قصده[٤] .

الحجاج في الاصطلاح :

تباينت نظرة الدارسين المعاصرين العرب والغربيين لمفهوم الحجاج بحسب تنوع الزوايا التي نظروا إليه: البلاغية واللسانية والفلسفية والأصولية، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من المفاهيم المتعددة التي أثرت حقل الدراسات اللسانية بعامة والحجاجية بخاصة ومن أبرز هذه المفاهيم في العصر الحديث نذكر:

---

(١) يورد (ابن منظور) المعاني المرتبطة بالحِجاج:

• الحَجُّ، القَصْد؛ حجَّ إلينا فلان؛ أي: قَدِم، وحجَّه يحجُّه حجًّا: قصَده، وحججتُ فلانًا واعتمدتُه؛ أي: قصدتُه، ورجلٌ مَحجوج؛ أي: مَقصود، وقد حَجَّ بنو فلان فلانًا: إذا أطالوا الاختلافَ إليه؛ أي: يقصدونه ويزورونه.

• الحجَّة: البُرهان، وقيل: الحجَّة ما دُوفع به الخصم، والحُجَّة: الوَجْه الذي يكون به الظَّفَر عند الخصومة، وجمعُ الحجَّة: حُجَجٌ وحِجاجٌ، والحجَّةُ: الدليل والبرهان.

• التحاجُّ: التخاصُم، وحَجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازَعه الحجَّةَ، والرجل المِحْجاج: هو الرَّجِل الجَدِل.

• الاحتجاج: احتَجَّ بالشيء: اتَّخذه حجَّةً.

ممَّا يبرز أنَّ لفظة الحِجاج أو المحاجَّة تَستقي معناها الأساسي مِن الظَّفر والتخاصُم والجَدل الذي يَقتضي التحاج والتخاطُب، الذي تتحقَّق من خلاله العمليَّة الحِجاجية التواصلية.

جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل بن منظور ابن منظور: "لسان العرب"، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، تقديم: الشيخ عبدالله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، مادة حجج.

(٢) إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثانية، ١٠٦/١ – ١٠٧

(٣) محمد أبي بكر الرازي، مختار الصحاح ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١م، مادة حاج.

(٤) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٩٨١، ص: ١٨.

مفهوم بيرلمان Perelman و تيتكاه Tyteca للحجاج :

يرى هذان الباحثان أن موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[١].. فالخطاب الحجاجي عندهما خطاب واعي يرتكز في أساسه على منتجي الخطاب، وعلى مدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظفيه للآليات الحجاجية المختلفة، إذ أنه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسد بين الباث والمتلقي وفق تقنيات معينة يحاول بواسطتها كل منهما إقناع الآخر وإفحامه بحجج منطقية عقلانية.

الحجاج عند أنسكومبر J-C.Anscombre و ديكرو O.Ducrot :

حاول كل من" أنسكومبر J-C.Anscombre و دى كرو O.Ducrot أن يبرزا لنا مفهوم الحجاج من خلال مؤلفهما " الحجاج في اللغة" .وبينا «أن مصطلحي البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جد مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية»[٢]، وأن الحجاج عندهما يكمن في اللغة وليس فيما يتأسس عليه الخطاب من منطق رياضي أو شكلي أو صوري، خلافا لما هو عند بيرلمان Perelman و تى تكاه Tyteca .

الحجاج عند طه عبد الرحمان:

انطلق طه عبد الرحمن من حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي ورأي بضرورة هذه الحقيقة الحجاجية لا البرهانية الصناعية. وفي مستهل حديثه عن الحجاج قال: «وحد "الحجاج "أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي، لأن طابعه الفكري مقامي و اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورا استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة»[٣]. لأن الاستدلال باعتباره «طلب الدليل»[٤] يشمل مجالي البرهان والحجاج معا.

محمد العمري:

يعدّ محمد العمري من أوائل الدارسين والمتتبِّعين للدّرس البلاغي، ولعلّ من أبرز دراساته التي تطرقت إلى الحجاج بشكل فني ودقيق هو كتابه "فن الإقناع "حيث تم

(١)عبد الله صوله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص ٢٧ .

(٢)L'argumentation Dans Le Discours Ruth Amossy – France – Edition Nathan –٢٠٠٠.p١٧.

(٣) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – المعرب – المركز الثقافي العربي –ط٣–٢٠٠٧ ص ٦٥

(٤)إدريس الفاسي الفهري الإمارات العربية المتحدة –دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث ط١–٢٠٠٤ ص ٣٠٨.

اقتراح خطابات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلا حجاجيا[١]، وحاول العمري من خلال دراسته تتبّع الخطاب الحجاجي والبلاغي، سواء من خلال دراسته المبكّرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة أو من خلال ترجماته المتعدّدة لبعض رواد هذا التيّار،أو اهتماماته الطموحة لإعادة رسم خارطة عامّة للبلاغة العربية القديمة، روافدها، واتجاهاتها، وامتداداتها وخصائصها الصوتية والنحوية والمنطقية [٢]، حيث ركّز العمري في قراءته للبلاغة العربية على استكناه الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بالنحو والمنطق والنقد،وقام بتتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من جهة أخرى،وحصر البيان في ثلاث وظائف أساسية هي:[٣]:

١ــ الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد) إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

٢ ــ الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة.

٣ ــ الوظيفة الحجاجية (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.

أبو بكر العزاوي:

جاءت أغلب بحوث العزاوي مرتبطة بالدرس اللساني اللغوي حيث أكّد في عديد من المرّات أنّ الوظيفة الحجاجية كامنة في اللّغة،وأنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية،وهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عام هو أن لا تواصل من غير حجاج ويذكر عن أسباب اهتمامه وتبنيه لنظرية الحجاج في اللغة أنها تنتمي إلى تيّار لساني حديث لا يعتبر الوظيفة الإخبارية التواصلية هي الوظيفة الوحيدة للغة،فهي نظرية دلالية حديثة تقدّم تصوّرا جديدا للمعنى من حيث طبيعته ومجاله،كما أنّها استطاعت التغلب على الكثير من العقبات والصعوبات التي كانت تعترض المقاربات الوصفية والماصدقية للغة[٤]، ونجد من أهم مؤلفاته كتابه "**اللغة والحجاج**" الذي أبرز فيه أن الوظيفة الحجاجية متجذّرة في اللغة، وجاء به لوصف بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية، وكتابه الآخر" **الخطاب والحجاج**" الذي جاء تتمّة وامتدادا للأوّل وسعى فيه إلى إبراز الوظيفة الحجاجية لمختلف الخطابات القرآنية والشعرية والعامية، وهو بذلك يؤكد على أنّ مجال الحجاج

---

[١] صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مرجع سابق، ص :٤٥ــ

[٢] محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص٢٨٧.

[٣] ينظر محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)،١٩٩٩م، ص٢١٢,٢١٣.

[٤] ينظر أبو بكر العزاوي: الحجاج واللغة، مرجع سابق، ص٨,٩.

هو الخطاب والكلام المكتوب والشفوي، ففيه تتجلى تقنياته وآليات اشتغاله؛ من خلال بنية الجمل والأقوال نفسها، فالوظيفة الحجاجية موجودة في الظواهر الصّوتية والصّرفية والمعجمية والتّركيبيّة والدّلالية والتّداولية[1].

المبحث الثاني: الروابط الحجاجية

يعود مفهوم الربط والارتباط في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (رَبَطَ)، وهو في معاجم اللغة العربية أصل واحد، يدل على شد وثبات وملازمة، مع زيادة في بعض المعاجم على هذا المعنى، فقد جاءت اشتقاقات المادة (ر ب ط) ومعانيها في معجم العين: ربط يربط ربطاً، والرباط هو الشيء الذي يربط به وجمعه ربط، والرباط ملازمة ثغر العدو والرجل مرابط، والرباط: مصدر رابطت: أي لازمت، وفي قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}[2] يريد رباط الجهاد، ويقال: هو المواظبة على الصلوات الخمس في مواقيتها، والرباط: المداومة على الشيء، وفسره الخليل مجازياً فقال: رجلٌ رابط الجأش أي اشتد قلبه وعزم، فلا يفر من الروع. وارتبطت فرساً أي اتخذته للرباط: ويقال: ربط الله بالصبر على قلبه[3].

أما في لسان العرب فقد وردت اشتقاقات ودلالات أخرى للمادة (ربط) فقال: والم ربطة نسعة لطيفة تُشد فوق الخشب، مثل الملزمة. وقال: والربيط: الزاهد والحكيم الذي يربط نفسه عن الدنيا؛ أي يشدها ويمنعها، ونفس رابط؛ واسع أريض، وقال الزجاجي: الربيط الزاهد كأنه ضد الربيط الراهب[4].

الرابط في الاصطلاح:

يعود مصطلح الرابط اللفظي والرابط المعنوي إلى النحاة واللغويين المحدثين، وتحدد دلالته عندهم بأنه علاقة بين معنيين بواسطة لفظية (علاقة نحوية تقوم على أداة)، أو علاقة بين معنيين بلا وساطة لفظية. وقد جعل النحاة واللغويون طرق الربط والارتباط في قسمين[5]:

---

(1) ينظر أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ص١١.

(٢) آل عمران: ٢٠٠.

(٣) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال، (د.ط)، ٢٠٠٨م، مادة (ربط)، وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

(٤) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، مادة (ربط).

(٥) حميدة، مصطفى، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، المكتبة العالمية للنشر، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٥٠-١٥٥ .

أ- الترابط بوساطة (الرابط اللفظي).
ب- الترابط بالإلصاق (الرابط المعنوي).

والرابط: هو الأداة أو الوسيلة التي يكون بها الربط للوصول إلى الترابط النصي، وجمعها روابط، ويعد استعمال لفظ (روابط) شائعاً في دراسات اللغة العربية المعاصرة. وتتمثل هذه الروابط في وسائل الاتحاد والتماسك بين أجزاء الجمل في اللغة التي يولد منها النص المتماسك(١).

وانتظم الرابط عند النحاة في قسمين تلجأ العربية إليهما حين تخشى اللبس في فهم الانفصال بين معنيين، أو اللبس في الارتباط بين معنيين: الأول، ما أطلقوا عليه (الرابط اللفظي) ويتمثل في إحداث علاقة نحوية سياقية بين طرفين باستعمال واسطة كضمير، أو أداة، أو اسم إشارة، أو غيرها(٢) ، أما الرابط في الاصطلاح فقد عرفه التهانوي بقولِه : "واعلم أنهم قالوا الرابطة أداة لدلالتها على النسبة، وهي غير مستقلة؛ لكنها قد تكون في صورة الكلمة مثل كان وأمثالها، وتسمى رابطة مكانية، وقد تكون في صورة الاسم، مثل (هو) في زيد هو قائم وتسمى رابطة غير زمانية"(٣).

والثاني، أطلقوا عليه (الرابط المعنوي) وأهمها السياق وما يجعل السياق مترابطاً إنما هو ظواهر في طريقة تركيبِه ورصف ه، لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض في علاقات متبادلة؛ إذ تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق(٤) .

أنواع الروابط:

أ- الرابط اللفظي:

اقترح النحاةُ المحدثون مصطلحين لهما علاقة بالربط اللفظي والمعنوي، وهما: (الربط، والارتباط) (٥) ، فقد ضمن تمام حسان مصطلح "الربط " في القرائن اللفظية بعدما قام بتمييز القرائن اللفظية والمعنوية . وتمثلت القرائن اللفظية عنده في البنية، والعلامة الإعرابية، والمطابقة، والربط، والتضام، والرتبة، والأداة،

(١) المرجع السابق، ص١٥٣.
(٢) حميدة، مصطفى، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص١٩٥-٢٠٢.
(٣) التهانوي، الشيخ محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشية أحمد حسن بسج، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢/٢٢٧.
(٤) حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص٢٣٧.
(٥) حميدة، مصطفى، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص١٥٤-٢٠٤.

والنغمة في الكلام، وهذه معروفة كلها عنده بالروابط اللفظية [١] . فالربط عنده : قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر، وهي العلاقة التي تؤديها بعض العناصر اللفظية، فتعين على فهم الجملة بربطها بين أجزائها [٢] .

ب – الرابط المعنوي:

الرابط: (اسم) والجمع روابط، ومؤنثه رابطة والجمع للمؤنث رابِطات [٣] والروابط المعنوية: هي الروابط الملحوظة التي تدرك بالعقل لا بالحس، أي التي تتضح من المنطق العقلي، غير أن المحدثين قيدوها بلفظ معنوي واقترحوا لها مصطلح "الارتباط" الذي يقصدون به "نشوء علاقة نحوية بين معنيين بلا وساطة لفظية، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه "[٤] ، أي أنها روابط لا تظهر في النص. فيحاول المتكلم (المرسل) إظهارها بجعل المعاني متآلِفة، ليفهمها العقل البشري (المستقبِل).

وقيده بعض الباحثين بالربط "البياني" بين جمل النص الذي يقوم على أن "كل جملتين متتاليتين في النص ثانيتها بيان للأولى ترتبطان ارتباطاً مباشراً بغير أداة [٥] هذا يعني، أن التماسك المعنوي الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية ملحوظ في أجزاء التراكيب العربية، إذ تتمثل بالقرائن المعنوية التي تشمل على الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعية، والمخالفة، وهذه القرائن تكون بالعلاقات السياقية وتساعد في تعيين المعنى النحوي. يرى تمام حسان أن الوظائف التي تؤديها القرائن المعنوية هي الانسجام [٦] ، فمثلاً ، تتشكل (الجملة الإسنادية)من وحدتين (مسند) و(مسند إليه) فارتباط أحده ما بالآخر لم يكن بوساطة لفظية ملفوظة وإنما علاقة نظمية معنوية خفية ملحوظة تدرك بالعقل هي (الإسناد) [٧] .

---

(١) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م، ص١٩١-٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ص٢١١-٢٦٢.

(٣) مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (ربط).

(٤) حميدة، مصطفى، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص ١٦١.

(٥) الهواوشة، محمد سليمان، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٨م، ص٧٠- ٧١.

(٦) العارف، عبدالرحمن حسن، تمام حسان رائداً لغوياً، كتاب تذكاري، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤٤-٤٥.

(٧) العارف، عبدالرحمن حسن، تمام حسان رائداً لغوياً، كتاب تذكاري، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤٤-٤٥.

المبحث الثاني: روابط التعارض الحجاجي

أ – روابط التعارض الحجاجي / الرابط الحجاجي (لكن):

وهي من الأدوات النحوية التي حددها العلماء العرب لنفي كلام وإثبات غيره، ومن هذا المنطلق فإن هذه الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين هو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين المعطى والنتيجة[١] وتدل الخطاطة الحجاجية الموضحة التي قدمها أصحاب النظرية الحجاجية للأداة (لكن) إلى أن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين:

١ – إن المتكلم يقدم (أ) و(ب) بوصفهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي (لا – ن).

٢ – إن المتكلم يقدم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى وبوصفها توجه القول أو الخطاب برمته[٢] .

ومن هذه الخطاطة نجد أن وظيفة (لكن) ومثلها (بل) الحجاجيتين تعمل على قلب الفرضية بين ما يتقدم الرابط وما يتبعه فما يسبق الرابط (لكن) يتضمن حجة (أ)، (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) متوقعه (ن) وما بعد الرابط يتضمن حجة (ب) (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) مضادة (لا – ن) للنتيجة السابقة (ن) وهنا يكون دور الرابط الحجاجي (لكن) في الربط بين قولين متنافيين من جانب وإعطاء الحجة الثانية التي تأتي بعده بالقوة اللازمة التي تجعلها أقوى من الحجة الأولى التي سبقت الرابط.

ب – الرابط الحجاجي (بل):

ذكر الرماني في فحوى هذه الأداة (هي من الحروف الهوامل ومعناها الاضراب عن الأول والإيجاب للثاني) [٣] وعليه فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج مثلها مثل (لكن) ولهذا الرابط حالان:

الأول: أن يقع بعد مفرد.

الثاني: أن يقع بعده جملة ما فإن وقع بعده مفرد دخله حالان:

أ – إنْ تقدمه أمر أو إيجاب نحو (اضرب زيداً بل عمراً) و(قام زيد بل عمرو) فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه ولا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده.

(١) رسائل الإمام علي (رضي الله عنه) في نهج البلاغة – دراسة حجاجية: ٩٩.

(٢) اللغة والحجاج: ٥٨.

(٣) معاني الحروف: ٧١.

ب – إنْ تقدمه نفي أو نهي نحو (ما قام زيد بل عمرو) و(لا تضرب زيداً بل عمراً) فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده أي إثبات الثاني ونفي الأول.

أمّا إذا وقع بعد (بل) جملة فيكون معنى الاضراب:

أ – إمّا الإبطال نحو قوله تعالى {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُون} (١).

ب – وإمّا الانتقال من غرض إلى غرض(٢)نحو قوله {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (٣) .

المبحث الثالث: روابط التعارض الحجاجي (لكن ، بل) في عبقرية عمر.

لكن:

هذا الرابط الحجاجي في معناه النحوي هو: حرف مشبه بالفعل، من أخوات (إنَّ) حيث يدخل على الجملة الاسمية فيرفع المبتدأ وينصب الخبر، ويفيد الاستدارك.

وفي الحجاج يستعان بهذا الرابط الحجاجي للاحتياط والتحفظ من النتيجة، وهذا ما سنلاحظة في الأمثلة التالية:

م	النص	الرابط	الحجة
١	وعمر كفء للخلافة، لكن تقديم أبي بكر أصلح وأولى وأوفق لأحوال الزمن ولكرامة الصحابة والمسلمين أجمعين(٤).	لكن	تقديم أبي بكر أصلح وأولى وأوفق لأحوال الزمن ولكرامة الصحابة والمسلمين أجمعين.
٢	فلو كان الإسلام ظالمًا بطبيعته لمن لم يدخلوا فيه، لكان عمر أشد المسلمين ظلمًا لهم وقسوة عليهم، لكنه كان في الواقع أشد المسلمين رعاية لعهدهم مُذ كان أشد المسلمين غيرة على دينه وعملًا بأدبه(٥).	لكنه	كان في الواقع أشد المسلمين رعاية لعهدهم مُذ كان أشد المسلمين غيرة على دينه وعملًا بأدبه

(١) المؤمنون: ٧٠.

(٢)رسائل الإمام علي (رضي الله عنه) في نهج البلاغة – دراسة حجاجية: ١٠٥.

(٣)الأعلى: ١٤-١٦

(٤) عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، ط١٠ــ ٢٠٠٦، ص: ١٤٠

(٥)عبقرية عمر، ص: ٨٠

٣	وكان يحظر على الولاة مظاهر الخيلاء والأبهة التي تبعد ما بينهم وبين الرعية، ولكنه ينظر في أعذارهم فيقبلها أو يغضي عنها، ما توقف صلاح الولاية على ذلك[١].	لكنه	ينظر في أعذارهم فيقبلها أو يغضي عنها، ما توقف صلاح الولاية على ذلك.
٤	وكان له نظام اقتصادي يوافق مصلحة الدولة في عهده، فكان يحضُّ على التجارة، ويوصي القرشيين ألا يغلبهم أحد عليها؛ لأنها ثلث الملك. ولكنه أبقى الأرض لأبنائها في البلاد المفتوحة، ونهى المسلمين أن يملكوها على أن يكون لكلٍّ منهم عطاؤه من بيت المال، كعطاء الجند في الجيش القائم[٢].	لكنه	أبقى الأرض لأبنائها في البلاد المفتوحة، ونهى المسلمين أن يملكوها على أن يكون لكلٍّ منهم عطاؤه من بيت المال، كعطاء الجند في الجيش القائم.
٥	فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة. ولكنه لما رأى الخدم وقوفًا لا يأكلون مع ساداتهم في مكة غضب، وقال لساداتهم مؤنبًا: ما لقوم يستأثرون على خدامهم؟ ثم دعا بالخدم فأكلوا مع السادة في جفَان واحدة[٣].	لكنه	رأى الخدم وقوفًا لا يأكلون مع ساداتهم في مكة غضب.
٦	وما كان عمر بالذي يجهل ما عرفه الناس من مروءة «الأبهة والوجاهة» وهو الذي يعلم ما جهلوه، ولكنه كان غنيًّا عنها	لكنه	كان غنيًّا عنها إيثارًا لغيرها مما هو أرفع منها وأدل على المروءة في حقيقتها.

(١)عبقرية عمر، ص: ٩٦
(٢)عبقرية عمر، ص: ١٠٤
(٣)عبقرية عمر، ص: ١٠٥

	إيثارًا لغيرها مما هو أرفع منها وأدل على المروءة في حقيقتها[1]		

نتيجة أثر الرابط الحجاجي في النقاط السابقة هو:

١- تعزيز قيمة أبي بكر الصديقΔ في أحقيته بتولي الخلافة عن الخليفة عمر بن الخطابΔ؛ لما يمتلك من صفات سامية، ومواقفه الراشدة مع الرسولX.

٢- دلالة على سماحة عمر بن الخطابΔ بعد دخوله الإسلام، وحجة على قيمة الإسلام في قدرته على تغيير الشخصية الشريرة للخيرة.

٣- حجة على شفقة الفارقΔ في التعامل مع الولاة، فهو لم يكن قاسيًا بالحد المطلق مع الولاة، ولكنه كان ينظر لهم إلى أعذارهم في التخفيف عنهم.

٤- حجة على وعي الفاروقΔ ودبلوماسيته في إدارة شئون البلاد، فلو أخذ تلك الأراضي منهم لكان لو وصف غير منصف في التاريخ في هذا الشأن.

٥- حجة على سماحة الفاروقΔ برغم شدته، فهو كان شديدًا في العدل، وعطوفًا مع المستضعفين.

٦- حجة على دهاء عمر بن الخطابΔ في التعامل مع العقول، فلكل مقام مقال.

بل:

م	النص	الرابط	الحجة
١	لم يكن عمر عادلًا لسبب واحد، بل لجملة أسباب: كان عادلًا؛ لأنه ورثَ القضاءَ من قبيلته وآبائه، فهو من أَنْبَه بيوت بني عدي الذين تولوا السفارة والتحكيم في الجاهلية، وراضوا أنفسهم من أجل ذلك جيلًا بعد جيل على الإنصاف وفصل الخطاب، وَجَدُّهُ نفيلُ بنُ عبد العزى هو الذي قضى لعبد المطلب على حرب بن أمية حين تنافرا إليه، وتنافسا على الزعامة، فهو عادلٌ من عادلين، وناشئٌ في مهدِ الحكم والموازنة بين الأقوياء[2].	بل	الأسباب المذكورة في عدل عمرΔ.

(١)عبقرية عمر، ص: ١١٦

(٢)عبقرية عمر، ص: ١١٦

٢	لا تناقض في خلائق عمرَ بن الخطاب، ولكن ليس معنى ذلك أنه أيسر فهمًا من المتناقضين، بل لعله أعضلُ فهمًا منهم في كثير من الأحوال؛ فالعظمةُ على كلِّ حال ليست بالمطلب اليسير لمن يبتغيه، وليست بالمطلب اليسير لمن ينفذ إلى صميمه ويحتويه(١).	بل	لعله أعضلُ فهمًا منهم في كثير من الأحوال؛ فالعظمةُ على كلِّ حالٍ ليست بالمطلب اليسير لمن يبتغيه، وليست بالمطلب اليسير لمن ينفذ إلى صميمه ويحتويه
٣	وهو أعطف خلق الله على الضعفاء، بل كثيرًا ما تكون الخشونة الظاهرة نقابًا يستتر به الرجل القوي فرارًا من مظنة الضعف الذي يساوره من قبل الرحمة، فلا تكون مداراة الرقة إلا علامة على وجودها، وحذرًا من ظهورها(٢).	بل	بل كثيرًا ما تكون الخشونة الظاهرة نقابًا يستتر به الرجل القوي فرارًا من مظنة الضعف الذي يساوره من قبل الرحمة.
٤	وكل أولئك كان عمر على استعداد له عظيم. وكل أولئك لم يكن عمر فيه بالوسط المكرر، بل كان فيه العَلَم المترفع المضيء بين الأعلام. كان عمر بليغًا حسن النقد للبلاغة، هواه منها الصدق والطبع وجمال التفصيل(٣).	بل	كان فيه العَلَم المترفع المضيء بين الأعلام.

نتيجة أثر الرابط الحجاجي في النقاط السابقة هو:

١- عزز العقاد بذكر الرابط بل بالحجج التي جعلت من الخليفة عمر بن الخطابΔ موصفًا بالعدل في كتب السير

٢- عزز العقاد بذكر الرابط بل بالحجج علو شأن عمر بن الخطاب Δ بالمقارنة بين الصحابة.

(١)عبقرية عمر، ص: ٢١

(٢)عبقرية عمر، ص:٢٨

(٣)عبقرية عمر، ص: ٧٠

٣- حجة على أن الشدة في كل المواضع غير مؤهلة في قيادة صاحبها للريادة والحكم، وهذا ما اتصف به عمرΔ.

٤- حجة على شخصية عمر بن الخطابΔ وملكته الثقافية.

أثر الربط بـ لكن وبل:

يربط الاستدراك على سبيل السلب صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض، إذ تكونان في المقام متحدتين أو متشابهتين ؛ أو أن ذلك يكون بتناولهما لموضوعات بينها علاقة، لكن من خلال تجمع غير متوقع في التنشيط الموسع ، وقد يكون كل من الصورتين صادقاً بالنسبة إلى عالم النص، ولكن تعلق كل منهما بالآخر غير واضح "(١)

ويستخدم لذلك (لكن ، بل ، مع ذلك) . أما (فان دايك) فيتحدث عن التغيير بالتعارض (الاستدراك) بقوله : " قد تختلف الأشياء عما هي عليه في العادة ، أعني في معظم الأحوال والعوالم الممكنة المتعارف عليها ، ومع أن ضروب التعلق قد تصدق فيها بوجه عام ، فقد يجوز أن تبقى هناك حالات استثنائية بسبب ضروب وملابسات مخصوصة ، وتكون مثل هذه الحالات الاستثنائية غير متوقعة من جهة المبدأ ، إذا حصل أن قوبلت وعورضت خواص الأحداث وجرياتها مع ما يتوقع عادة أن يكون حاصلاً في العوالم المتعارف عليها، وهذه العلاقات غير المتوقعة، أو الاستدراكية مما يطرأ على الأحداث إنما يعبر عنها بأدوات من الربط من نحو : لكن ، مع أن ، وبالرغم من أن ، حتى ، ومع ذلك ، وفضلاً عن ذلك ، وفي حين ، وإن كان على حال ، وعلى أي حال . وهي أدوات تنتمي إلى باب الوصل، وباب الظروف ، وحروف الجر(٢).

(١) دي بوجراند في النص و الخطاب و الاجراء ، ص: ٣٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٦٤.

الخاتمة والنتائج:

لا جرم أن العقاد صاحب أسلوب فريد في كتابته بشكل عام، وهذا ما لمسه الباحث في كتابته لعبقرية عمر رضي الله عنه، فقد قام الباحث بالنظر للنص في ضوء نظرية الحجاج ووفق المقاربة التداولية، ومن ثمَّ توصل الباحث للنتائج التالية:

- أولاً: مر الحجاج عبر التّاريخ القديم والحديث بمصطلحات ودلالات متنوعة ، طالما اعتبرت مرادفات له: كالخطابة والبلاغة والجدل والبرهان والمناظرة والاستدلال، وكل هذه المفاهيم تخدم غاية واحدة وهي التأثير و الإقناع .
- ثانيًا: الحجاج هو مجموعة من الحجج تقدم للبرهنة عن فكرة أو رأي هدفه تحقيق التأثير و الإقناع ، كما أنّه صنف إلى ثلاثة أصناف : الحجاج التجريدي، الحجاج التوجيهي ، وأخيرا الحجاج التقويمي .
- ثالثًا: اللسانيات التداولية تدرس اللغة أثناء استعمالها في مقامات مختلفة وبحسب أغراض المتكلّمين وأحوال المخاطبين.
- رابعًا: امتلاك المدونة أو أطراف الحوار أدوات اللغة الحجاجية وتوظيفها توظيفا يدعم حججهم
- خامسًا: تكمن قضية التداولية في إيجاد القوانين الكلية لاستعمال اللّغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي من خلال سياقات غير لغوية ؛ أي السياقات الاجتماعية و الثقافية، ومقاصد المتكلمين وعلاقة العلامات بمستعمليها.
- سادسًا: دور الروابط الحجاجية هي الربط بين الحجة والنتيجة، أما العوامل الحجاجية فهي تقيّد وتحصر الحجج .
- سابعًا: تميز أسلوب العقاد في العبقريات باستخدام الروابط الحجاجية المتنوعة في المقايل قل وجود السلالم الحجاجية؛ لقلة ركائز السلالم الحجاجية.
- ثامنًا: وجود رابط وثيق بين نظرية النص ، ونظرية الحجاج، فالحجاج محكوم بروابط النص أو بالأحرى الحجاج يقع داخل نظرية النص، فكل حجاج نص والعكس غير صحيح.
- تاسعًا: نتاج الروابط النصية في عبقرية عمر تدول حول محور رئيسي هي قيمة وكينونة الخليفة عمر بن الخطاب وهذا ما لاحظناه في النماذج الشاهدةΔ.
- عاشرًا: ظهور روابط العطف بكثرة في عبقرية عمر؛ لأنها تناسب أسلوب العقاد الكتابي.

في الأخير نستطيع القول أنّنا تمكنا إلى حد ما من إبـراز أهـم آليـات الحجـاج التداولي، ومدى تأثيرها في بناء الخطاب، ّهذا و أن الحجاج ظهـر بقـوة فـي الآونـة الأخيرة في الخطابات الإعلامية بأنواعها ، ّفهو الركيزة لتحقيـق المقاصـد والغايـات الأساسية من الحوار والمناقشة.

المراجع والمصادر:

- **القرآن الكريم.**
- أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط١،٢٠١٠م.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط١ ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.
- إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثانية.
- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٩٨١.
- إدريس الفاسي الفهري الإمارات العربية المتحدة –دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث ط١–٢٠٠٤
- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٦م
- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – المعرب – المركز الثقافي العربي –ط٣–٢٠٠٧ .
- عبد الله صوله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية.
- عباس محمود العقاد،عبقرية عمر، دار نهضة مصر، الطبعة العاشرة، بدون تاريخ.
- محمد أبي بكر الرازي، مختار الصحاح ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١م.
- محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٨.
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال، (د.ط)، ٢٠٠٨م، مادة (ربط)، وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- مصطفى حميده. نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، المكتبة العالمية للنشر، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٥٠–١٥٥ .

- Adam Jean Michel, Linguistique textuelle: des genres de discours aux textes, Nathan, Paris،
- .١٩٩٩
- Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique et des science du langage, larousse, Paris, ٢٠٠١.
- Halliday Michael Alexander Kirwood and Ruqaiya Hassan, Cohesion in English, Longman،
- London, ١٩٨٧.
- Robert Alain De Beaugrand and Wolfgang Dresslar, Introduction to text linguistics, longman،
- London, ١ st published, ١٩٨١.